



العتبة العباسية المقدسة
قلم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

خطوات المتقين في ثمار زيارة الأربعين

تأليف

هاري الشيخ طه

وَحَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ فِي الثَّغَرِ



الْجَنَّةُ الْبَغْيَانِيَّةُ الْمَقَانِينُ
قلم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

فَوْلَا لَوْلَا لَوْلَا لَوْلَا لَوْلَا

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٣٣)

هاتف: ٢٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

" "

" "

" "

" "

" "

" "

"éççç .

éççç ! èèèè .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد :

ان الثورات العظيمة لا بُدَّ لها من ثائر عظيم تنطبع الثورة بمنهجه
وتسير وفق ما يخطط له وما يريد.

ويعتمد وهج تلك الثورة وخلودها على مقدار التضحية، والتغيير
الذي تقوم به في المجتمع، وقد كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام كذلك،
فهي قد أخذت موقعها من نفوس الجمهور على اختلاف طبقاتهم،
وتجذرت في أعماقهم، بحيث يهتمون بإحيائها بأنفسهم، ويندفعون
لذلك بطبعهم وكأنها جزء من كيانهم.

لأجل ذلك نرى ثورة الحسين عليه السلام عظيمة وعظيمة جدا وفق كل
المقاييس الدنيوية منها والدينية، ولاغرو في ذلك فان الإمام الحسين عليه السلام
هو قائد تلك الثورة ومُفجِّرها والمهد لها، ومن الطبيعي أن هكذا
شخصية لا بد ان تكون ثورته خارجة عن كل المقاييس.

«وقد كثر الحديث عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي انتهت بفاجعة
الطف، عرضا وتقييما، وتفجعا وافتخارا، وغير ذلك من شؤون هذه

الملمحة الالنية الكبرى، ولعله لم تحظ واقعة في الإسلام بل في العالم بمثل ما حظيت به هذه الواقعة من الاهتمام والتقييم في أحداث وكتابات بلغ كثير منها كتباً كاملة بل مجلدات»^(١).

ومثل تلك الثورة المباركة لا بد وان يكون لها وهجها الذي يتدفق عبر الليالي والأيام، ولا بد لهكذا ثورة من مراسيم خاصة لاستذكارها وإحيائها والتفاعل معها والتزود من عطاءاتها، ومن تلك المراسيم المهمة زيارة الأربعين المباركة التي حرص الأئمة والأصحاب على إحيائها والتبرك بألقها المبارك، وأخذوا يحثون الموالين من شيعتهم على إحيائها ونيل ثوابها العظيم، ولهذا الزيارة مضامين عالية ومعانٍ كبيرة لا تكاد تنتهي على مدى السنين والدهور.

ان بحثنا هذا لا يتولى مهمة تفسير وشرح تلك الزيارة المباركة، ولكنه يتعامل معها وفق منهجية ومقاربة واضحة تصبّ أخيراً في مصلحة تبليغ وتوصيل مبادئ ثورة الحسين عليه السلام الشاملة والتي ما قامت إلا من أجل تحرير المسلمين من الظلم والجهل والتخلف وتراكمات الحكام الظالمين الذي لم يراعوا فيهم إلا ولا ذمة، والذي اخذ أبعاداً واسعة في ظل حكم الأمويين.

ومناسبة الأربعين واحدة من دلالات تلك الثورة المباركة، فاستذكار الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة في زيارة الأربعين تجديد

(١). فاجعة الطف آية الله العظمى محمد سعيد الحكيم ص ٤٦

للدين وخط أهل البيت عليهم السلام وفيها من المضامين الإنسانية والاجتماعية والتربوية الشيء الكثير، وهذا ما نحاول إلقاء الضوء عليه في هذا البحث، لكننا اولاً سنورد مدارك تلك الزيارة ومستنداتها، وسنورد بعض الأحاديث التي دلت على استحباب زيارة الإمام عليه السلام مشياً على الأقدام وبيّنت مقدار فضل من قام بها، ثم نُبيِّن دور زيارة الأربعين في تبليغ مظلومية أهل البيت عليهم السلام، ثم نخرج على الفعل الاجتماعي والتربوي لزيارة الأربعين، لنختتم هذا البحث بأهداف ومنهج التبليغ في زيارة الأربعين، مع خاتمة تبين ما استفدناه من هذا البحث، مستعينا في كل ذلك بالمراجع والمصادر الموثوقة والكتب التي تناولت قضية الإمام الحسين عليه السلام بموضوعية وعقلانية واضحة، راجياً ممن يقرأ هذا البحث ان يعذرني مقدماً على كل هفوة قد تقع أثناء البحث فهي لقصر باعي وقلة حيلتي، وما كتبت ما كتبت إلا من باب ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

هادي الشيخ طه

النجف الأشرف

مدرك زيارة الأربعين

يمكن الاستفادة استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام في أربعينته من كبرى مسلمة بين جميع المسلمين وهي ان إحياء شعائر الدين من مصاديق التقوى وخوف الله تعالى، فان الله تعالى يقول ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: من الآية ٣٢) ومن ينوي زيارة الإمام الحسين عليه السلام عارفاً بحقه متوسلاً به الى الله تعالى، ومستشفعاً به اليه من باب ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ (الانبياء: من الآية ٢٨) من ينوي ذلك فانه من المؤكد يكون مصداقاً لمن خاف الله جل وعلا واتقاه وأتاه من بابه تعالى الذي لا يُسدُّ ألا وهم الأئمة الكرام وذلك هو التعظيم الذي يريده الله لشعائره لأن فيه الخير والفلاح لعباده.

وكذلك يمكن الاستفادة استحباب زيارة الحسين عليه السلام في الأربعين من عدة روايات مرسلة ومسندة يستفاد من مجموعها وعدم شذوذ متنها وفق مبنى الوثوق في علم الرجال صحة هذه الروايات فلا موجب لرفضها وعدم قبولها وهذه الروايات هي :

١ - ما نقله الحر العاملي في الوسائل عن تهذيب الشيخ الطوسي

خطوات المتقين في ممارضة الأربعين

بإسناده عن صفوان الجمال قال لي مولاي الصادق عليه السلام: «في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار وتقول: السلام على ولي الله...»^(١).

٢- ما نقله الحر كذلك عن محمد بن الحسن قال^(٢): روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام انه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الواحد وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم»^(٣).

وقد يقال: لماذا لم يعد الإمام عليه السلام زيارة النبي صلى الله عليه وآله في يوم أربعينه من علامات المؤمن؟ أليس هو افضل من الحسين عليه السلام؟ وهكذا أمه وأبوه وأخوه عليه السلام.

والجواب: ان الحسين عليه السلام وقضاياه استثناء من ذلك، فان الغرض من الزيارات والحث عليها وبالخصوص للإمام الحسين عليه السلام انما هو لأجل تكريم وتخليد الحسين عليه السلام إكراماً لفدائه الإسلام وتضحيته بأهله وعياله لأجله فيناسب ذلك الحث على زيارته وترغيب المؤمنين

(١). الوسائل ج ١٤ ص ٤٨٧ آل البيت

(٢). شكك أحد العلماء حفظهم الله بدلالة هذا الحديث الذي اعتبر فيه زيارة الحسين عليه السلام في الأربعين من علامات المؤمن وقال: ان المقصود من زيارة الأربعين هو زيارة اربعين مؤمناً لا زيارة الحسين عليه السلام في اربعينته المباركة ولا ادري ما الدليل على هذا الرأي فلا مستند له من الكتاب او السنة او حتى البعد التاريخي لصدور تلك الرواية وسبب صدورها .

(٣). الوسائل ج ١٤ ص ٤٧٨ آل البيت

بزيارته لان الإسلام قد حُفظ بتلك التضحية فبقي ذكرى رائعة في قلوب المسلمين، قال الصادق عليه السلام «إنَّ لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً»^(١).

ثم انه لا مانع من أن يُزار النبي وسائر المعصومين في أيام اربعينهم أي بعد مرور أربعين يوماً على ذكرى استشهادهم، ولكن لم يرد في ذلك انه من علامات المؤمن^(٢).

٣- روي الشيخ الطوسي بإسناده: انه في اليوم العشرين من صفر كان رجوع حرم سيدنا أبي عبدالله الحسين عليه السلام بن علي بن أبي طالب عليه السلام من الشام الى مدينة رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله من المدينة الى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام فكان أول من زاره من الناس^(٣).

ولقد تسلم العلماء واجمعوا وأقرّوا تلك الزيارة ودأبوا على إحياء شعائرها على مدى السنين وفي ذلك ما يثبت مشروعيتها واستحبابها، وقد جاء ذكرها كثيراً في كتب الأصحاب، فهذا الشيخ الطوسي يقول: «وفي اليوم العشرين منه - صفر - كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله... ويستحب زيارته فيه»^(٤).

(١). مستدرک الوسائل ج ١٥ ص ٣١٨

(٢). محاضرات السيد محمد الشيرازي . موقع النبأ في شبكة الانترنت

(٣). مصباح المتعجد ص ٧٨٧

(٤). نفس المصدر ص ٧٨٧

خطوات المتقين في ممارضة الأربعين

وذكرها الشيخ المفيد بعنوان فضل زيارة الأربعين، وذكر حديث أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام المتقدم^(١).

وذكرها الشهيد الأول أيضاً فقال «ومنها زيارة الأربعين وهو اليوم العشرون من شهر صفر فإذا أردت زيارته عليه السلام في ذلك اليوم فرزه عند ارتفاع النهار فقل: السلام على ولي الله...»^(٢).

ونقل السيد الكفعمي تلك الزيارة أيضاً فقال «وأما زيارة الأربعين فرواها صفوان بن مهران عن الصادق عليه السلام قال: تزور عند ارتفاع النهار بهذه الزيارة....»^(٣).

وذكرها المحدث الكبير المجلسي في بحاره نقلاً عن مصباح السيد الكفعمي^(٤).

وقديماً قال الشاعر هاشم الصباح:

قم جددِ الحزنِ في العشرين من صفر
ففيه ردت رؤوس الآل للحفر

فسلامٌ على الحسين عليه السلام وطوبى لمن زاره في الأربعين وغيرها عارفاً
بحقه مستنيراً بنوره، سائراً على دربه فذلك هو الفوز العظيم.

(١). المزار ص ٥٦

(٢). نفس المصدر ص ١٨٥

(٣). المصباح للكفعمي ص ٤٨٩

(٤). يلاحظ بحار الانوار ج ٩٨ ص ٣٢٨

استحباب زيارة الحسين عليه السلام ماشياً

دأب محبو أهل البيت عليهم السلام على زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام ومن كل فج عميق، وذلك في اليوم العشرين من صفر - أي بعد أربعين يوماً من مقتل الإمام عليه السلام^(١) - ولهم في ذلك غايات لا يفهمها إلا من تذوق رحيق الموالاتة، وتربى على غذاء التضحية الذي لا

(١). يبدو أن لبعض الأرقام دلالات خاصة عند الشعوب الشرقية وبالأخص السامية ومنهم العرب فجرى الإسلام على ما اعتادوه وأقر ذلك ومن تلك الأرقام «الأربعون» حيث ورد في القرآن هذا الرقم أربع مرات «البقرة ٥١ المائدة ٢٦ الاعراف ١٤٢ الاحقاف ١٥». وورد في الاثر «من أحصى عليّ أربعين حديثاً فقد دخل الجنة» وفي حديث آخر «من اخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة على يديه» وتذكر التوراة ان صيام عيسى لربه كان أربعين متواصلة وجاء في الفقه عند ابي حنيفة ومن وافقه: ان اكثر النفاس عند المرأة هو اربعون يوماً وان حد الاحتكار حال السعة اربعون يوماً ويستحب الدعاء لاربعة مؤمن في صلاة الليل وقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ وعمره اربعون عاماً وفي الحضارة المصرية فان عملية تخنيط الموتى كانت تستغرق اربعين يوماً وتتم بعدها مراسم الدفن . وفي امثالنا الشعبية يقال: كل من عاش اربعين يوماً صار منهم .

يقدم إلا في موافد آل البيت العامرة بالتقوى وخوف الله تعالى في السر والعلانية، ومن هذه الغايات :

١- تجديد الولاء للإمام الحسين عليه السلام وخطه الثوري ويأخذ هذا الولاء شكلاً استثنائياً يتمثل بتأدية الزيارة مشياً على الأقدام ومن مناطق بعيدة جداً.

٢- تدريب النفوس المشتاقة لرؤيا الحسين عليه السلام على الأناة والصبر في التعامل مع الأمور، فالسير لأيام عديدة وفي أماكن نائية خالية من العمران يعتبر تجربة لا يمكن إلغاء تأثيراتها الروحية بحال من الأحوال.

٣- إرسال رسالة واضحة لمن لا يفهم علاقة الموالين لأهل البيت عليهم السلام بأن تلك العلاقة هي علاقة غير طبيعية، تذوب عندها المسافات وترتفع حجب المسافات، فلا فرق بين الوصول واللاوصول، فهي علاقة أثرية خارج نطاق الزمان والمكان.

٤- التأسى والاقتداء بمسير سببا الإمام الحسين عليه السلام حين رجعوا من الشام الى المدينة، فكأن المحبين يقولون «إن كنتم يا عيال الحسين عليه السلام قاسيتم حر الهجير، ووعثاء السفر، فان محبيكم مسافرون على مدى التاريخ، ومواسون لكم في كل سنة تمرّ، حاملين على أكتافنا شدة الخلود ونشيد التضحية. قال الشهيد الثاني :

كيف ترقى بعد الحسين الدموع

ويلذ الكرى لنا والمهجوع

وجناب الحسين عليه السلام ذلك الرفيع

قد دهاه من العدا ما يروغ.

ولقد حثت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على تجديد هذه الزيارة وغيرها مشياً على الاقدام، متقربين بتلك الشعيرة الى الله، ومن هذه الروايات :

١- ما روي عن الحسين عليه السلام بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: «يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة الحسين عليه السلام، ان كان ماشياً كتبه الله بكل خطوة حسنة وحط بها عنه سيئة حتى اذا صار بالحاءر كتبه الله من المفلحين»^(١).

٢- ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «يا علي زر الحسين عليه السلام ولا تدعه، قلت: ما لمن زاره من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة، وترفع له درجة»^(٢).

٣- ما روي عن ابي سعيد القاضي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غرفة له فسمعتة يقول: «من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل»^(٣).

(١). جامع احاديث الشيعة ج ١٢ ص ٤٣١

(٢). وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٣٤٢

(٣). نفس المصدر السابق

وقد يقول قائل: هذه الأحاديث عامة وليس فيها تقييد بزيارة الأربعين، ونحن نقول: نعم، فنحن لا نقيّد استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام مشياً بالزيارة الأربعينية، ولكن فلسفة الزيارة مشياً وحققتها تتجلى في خصوص زيارة الأربعين، لأنها تجريد لحادثة عاشوراء وتكريس لاستمرارية الحزن والأسى بمصائب أبي عبد الله عليه السلام، ذلك المصائب الذي يملأ القلوب همّاً وشقاءً لا ينتهي، فزيارة الأربعين هي أول زيارة بعد عاشوراء، فاستحقت ان تكون بعظمة وخلود عاشوراء، ولا يتأتى الخلود بزيارة خاطفة يزول أثرها بعد أيام قلائل، بل لابد من تظاهرة تجتري الحزن. ويفيض منها التقوى والخشوع، ليذكر بأيام الله تعالى التي أحيانا إمامنا بتضحية رائعة لا يفعلها الا الصديقون، فهنيئاً لمن مشى في دروب الصالحين، وخطا تلك الخطوات العظيمة في طريق يغمره الباري برحمته وبركاته، فالكل ينادي بصوت واحد تحفظه رمال البرية وحجر الدروب

.
» «

دور زيارة الأربعين في تبليغ مظلومية أهل البيت عليهم السلام

ان زيارة الأربعين بتجمهرها المليونى كانت ولا زالت تظاهرة
حسينية فاضحة للزيف والتزييف الذي غطى على مساحات واسعة
من فكر الجمهور المسلم المتعطش لمعرفة الحقائق كما هي، حتى أضحي
ذلك الجمهور لا يُفرقُ بين الشعارات الصادقة وتلك الكاذبة التي لا
تمتلك مقومات البقاء، الأمر الذي يسبب الفتنة فعلا أو يشعلها، ومن
ثم يحجب الرؤية الواضحة عن النفوس البريئة التي تتأثر بالشعار ولا
تغوص في أعماق الأمور.

من هنا جاءت زيارة الأربعين لتمثل انتصار الشعار الصادق على
رهافة السيف الظالم، ولتخلق روح التوافق والالتحام، فان اجتماع
مجموعة من الناس واتحادهم في عمل ما بدافع العقيدة سيولد لاحالة
وشائج وثيقة بين الأفراد ويعزز العلاقات الاجتماعية بينهم لا سيما وان
العامل المشترك بين الجميع هو عمل عبادي يبغى من ورائه نيل الثواب
وهذا ما ينطبق تماماً على مراسم زيارة الأربعين ونشاط مواكبها، مضافاً

الى أنها دعوة صادقة للسلام يرتفع نداؤها ليغطي على طبول الظلم الزائفة.

ان زيارة الأربعين هي تجسيد لقتل الظلمة والطغاة بلا قتال، وقد اثار ذلك حفيظة الظالمين، فجدّوا في منع الموالين من احياء تلك الشعيرة، والتنكيل بهم، والتشنيع عليهم بمختلف الأساليب، من هنا كانت زيارة الأربعين عملاً إعلامياً ضخماً، وتبليغياً بالغ الصعوبة والتعقيد لكنها في الوقت نفسه تكشف المعالم الحقيقية للدين، فهي تجعل من الإنسان مادة للرسالة، ذلك الإنسان المجرد من كل الأسلحة إلا سلاح الولاء واحترام الذات، فهو في زيارة الأربعين كائن مقدس يمشي نحو قبلة الطهر والقداسة لا يتعدى حدوده، يمشي على سكينة ووقار عالماً بحرمة الدماء وقيادتها، كما قرر الإسلام ذلك، فالله تعالى يقول ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: من الآية ٣٢) وكما أكدت عليه الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، نذكر من ذلك:

١- عن أبي ذر عن النبي صلّى الله عليه وآله في وصية له قال: «يا ابا ذر سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، واكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه»^(١).

(١). وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٨١ - ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام

٢- عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية لله، وحرمة ماله كحرمة دمه»^(١).

٣- عن حبة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من اتتمن رجلاً على دمه ثم خاس - غدر - به، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول في النار»^(٢).

لقد استوعبت زيارة الأربعين كل تلك المعاني والإشارات، وعمقت عشق ثورة الإمام الحسين عليه السلام في قلوب وضمائر الناس باعتباره ما خرج إلا لطلب الإصلاح في أمة جده صلى الله عليه وآله، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وهذا هو هدف الإمام في خروجه، إذ قال عليه السلام:

«اني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله أمر بالمعروف وانهى عن المنكر^(٣)» وهذا ما ينبغي ان يكون شعارا لزيارة الأربعين على مدى الدهر.

لقد كانت تلك الزيارة العظيمة سباقه في رفع راية اهل البيت عليهم السلام وإسراع دعوتهم لغيرهم، لأن تميزهم بإحياء تلك المناسبة ومواظبتهم على رفع شعائر الحب والولاء فيها، وتأكيدهم على ظلامة أهل

(١). وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٨١ - ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٢). نفس المصدر ج ١٥ ص ٦٩

(٣). مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢٣

البيت عليه السلام واستثارتهم للعواطف بمناسبة ذلك يلفت أنظار الآخرين إليهم، ويحملهم على الاحتكاك بهم، والتعرف على ما عندهم، ولاسيما ان احياء هذه المناسبة يكون غالبا بنحو مثير وملفت للنظر، يساعد على ذلك كله تأييد الله تعالى لهذه الطائفة المنصورة، فها نحن نرى هذه الايام اثر هذه الزيارة وغيرها في الفات نظر العالم وتوجيه وسائل الإعلام المختلفة نحو فاجعة الطف في مواسمها المشهودة، لينظر العالم بعينه مدى استماتة الموالين في احياء تلك المناسبة وغيرها مضحين بالغالي والنفيس في سبيل إحيائها، غير مكترئين بالمخاطر والظروف التي قد تكون غير مهيأة لتلك الشعائر.

«وذلك يفسر مارواه معاوية بن وهب من دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار الإمام الحسين عليه السلام - لعلمه بتلك الظروف التي قد يكون فيها مخاطر جمة على الموالين - حيث قال «اللهم ان أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، خلافا منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الحدود التي تتقلب على حفرة ابي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا...»^(١)

(١). كامل الزيارات لابن قولويه ص ٢٢٨-٢٢٩ نقلا عن فاجعة الطف لاية

الله العظمى محمد سعيد الحكيم «بتصرف»

الفعل الاجتماعي لزيارة الأربعين

تعد زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام من المراسم السائدة في المجتمعات الشيعية بوجه عام، وقد لقيت قبولاً واسعاً لها بين أوساط الموالين لأهل البيت عليهم السلام لاسيما وان الكثير منها مروى عن الأئمة الأطهار بسند صحيح، ونظرة خاطفة لكتب الزيارات مثل كتاب «الزيارات» لابن قولويه وكتاب «المصباح» للكفعمي وغيره الكثير، كافية لتأييد ما أقول، ولا تخلو تلك الزيارات من كونها احتفالاً بميلاد أحد الأئمة الأطهار، كزيارة النصف من شعبان، وزيارة الثالث عشر من رجب، او تكون تلك الزيارة لإقامة العزاء بوفاة أحد الأئمة الأطهار، كما في زيارة عاشوراء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وزيارة الثامن والعشرين من صفر ذكرى وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وزيارة الأربعين من القسم الثاني فهي لتجديد الحزن والأسى بوفاة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وقد لعبت هذه الزيارة كغيرها من الزيارات دوراً رئيسياً في بناء المجتمع الموالي لأهل البيت عليهم السلام، فهي باعتبارها تجمعاً حاشداً لملايين

المعزين تطرح نفسها كفعل اجتماعي لا يمكن تجاوزه، فهكذا تجمع لا يخلو من فوائد اجتماعية عدة منها :

١- الإحساس بالآلام آل الرسول ﷺ ومواساتهم، وهذا ما يدفع الى فعل الزيارة تلك، وفي نفس الوقت يكون قد تسلح بطاقة عجيبة تدفعه للحنو على الآخرين ومساواتهم، وإبداء المساعدة لمن يحتاجها، ومشاركة الآخرين أحزانهم وأفراحهم على السواء، تأسيا بآل الرسول ﷺ وهذا واضح ومعروف لكل من مارس تلك الزيارة واشترك في أداء شعائرها، وذهب للتبرك بأضرحة الأئمة المعصومين، ليرجع محملاً بفيوضات الحسين ﷺ والأئمة من ولد الحسين ﷺ، وفي قلبه وضميره تضحية الحسين ﷺ بولده وعياله يحملها معه في حله وترحاله، ولسان حاله يقول :

لا تطلبوا المولى حسينَ بأرض شرق او غرب

ودعوا الجميع وارجوا نحوي فمشهده بقلبي^(١)

٢- معونة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد منح الإمام الحسين ﷺ بحق قيمة ودرجة رفيعة لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاده اعتبارا وتقديرا، وهو ذلك الأصل الذي يعتبر فخر المسلمين وزينتهم وخيرهم، ولا غرو في ذلك فهو اللسان المعبر بقوة عن فحوى قول الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١١٠﴾ (آل عمران: من الآية ١١٠)، كذلك فان زاره عارفاً بحقه، فقد أعان على الحق وجعله نبراساً له لا يجيد عنه مبغضاً للباطل ومن تبعه، رافعا شعار الإسلام حينما يرفع راية بيده وهو يمشي صوب الحسين عليه السلام.

٣- استلهام معالم الدين الواضحة والمنهج الصحيح للتدين: وذلك عن طريق استحضار منهج الإمام عليه السلام وأولاده الأئمة الكرام عليهم السلام، وإتباع طريقهم من خلال تدبر وتأمل ما ورد في سطور الزيارة الأربعينية حيث ورد فيها في الثناء على منهج الحسين عليه السلام «فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

٤- تؤدي الزيارة بصورة عامة، وزيارة الأربعين بصورة خاصة دور مؤتمر سنوي ديني وديني يجتمع فيه المسلمون كافة، ويتبادلون فيه الرأي والفكرة وي طرحون فيه - بأقل كلفة ومؤونة - قضاياهم لمعالجتها ودراستها، كما ان هذه المناسبات - وبالأخص زيارة الأربعين - توجب استفادة الناس من مراكز التعليم الديني وحسن استخدامها، وكذلك حسن استخدامهم لوقتهم بدل قضاء ذلك الوقت في المقاهي ببطالة ودون عمل مثمر ومفيد، ولا ننسى ان زيارة الأربعين قد اعتادت الملايين على أدائها مشياً على الأقدام وتحت كل الظروف السيئة منها والجيدة، وفي ذلك ما لا يخفى من تمرين للنفس

قبل البدن على الجلد والصبر والأناة وهو مما ينعكس إيجابياً على الفرد في جميع جوانبه الحياتية، مضافاً إلى أنها رياضة مفيدة للبدن، فإن المشي من الرياضات التي يوصي بها الأطباء و يشهد بفائدتها كل من زاول تلك الرياضة، ولو أردنا أن نعدّد النشاطات الاجتماعية لزيارة الأربعين لوجدنا فيها الكثير الكثير من الفوائد والمميزات العظيمة، كل ذلك كرامة من الله تعالى لحبيب قلب رسوله الإمام الحسين سلام الله عليه.

أهداف ومنهج التبليغ في زيارة الأربعين

ان النهضة الحسينية ﷺ ذات وجوه عديدة، ولها عدة جوانب وأبعاد، ومن وجوه هذه النهضة وثمراتها تلك الزيارة العظيمة التي ما انفكت تتعاضد وتكبر في عيون الشامتين قبل العاشقين، ومن الممكن جداً اعتبار تلك الزيارة عنصراً تبليغياً، فهي رسالة واضحة الى العالم، وطريق لإيصال رسالة الإسلام في العصر الحديث، حيث تحمل آلاف الرسائل والدعوات الموجهة الى آلاف المراكز والنواحي، ففي زمان التكنولوجيا والثورات الإعلامية المتواصلة، بدت مشاهد الزيارة الأربعينية متألثة في التلفزيونات والقنوات العالمية، التي نقلت مشاهد مؤثرة تضع المشاهد من جميع أطراف المجتمع أمام تساؤل كبير، فما الذي يجعل هذه الجموع المليونية تزحف بهذا الإصرار نحو قبلة الأحرار والثائرين؟ فيأتي الجواب مدوياً انه الحسين ﷺ وعظمة التضحية التي قدمها.

ومن المعلوم أن هناك أربعة شروط لنجاح أي عملية تبليغية «والمفروض هنا ان زيارة الأربعين مطلب تبليغي» وهذه الشروط هي:

١- غنى واقتدار مضمون تلك العملية من جميع الجوانب، فان فضاة فاجعة الطف حقت الأرضية الصالحة لاستثمارها لصالح المذهب الحق، وذلك برثاء سيد الشهداء عليه السلام واستذكاره في جميع المناسبات والزيارات ولا سيما زيارة الأربعين التي تحتفظ بوهج خاص لدى الموالين.

وبعبارة أخرى ان رسالة الحسين عليه السلام تحوي على قوة الجذب الكافية للعقل والقلب، وقدرتها على حل المشاكل، والقضايا المستعملة في الحياة^(١). ونحن لانقول ان الزيارة الأربعينية. تقوم بهذه الأدوار والمهام لوحدها، مبتورة عن باقي الأجزاء المكملة للنهضة الحسينية لكنها قطعاً جزء مهم من باقي أجزاء النهضة الحسينية، والتي هي بدورها تتوفر بها كل تلك المميزات قطعاً.

٢- حيازة الإمكانيات اللازمة، من وسائل وأدوات ووسائط الدعاية الحضارية، مع الأخذ بعين الاعتبار الشروط والظروف الاجتماعية المحيطة، وهذه النقطة قد يكون من السهل تحقيقها خاصة وأن الأموال التي تنفق في سبيل ذلك من الكثرة بحدّ يلفت النظر، وبالخصوص في أربعينية الإمام عليه السلام سواء أكانت تلك الأموال على شكل مشاريع ثابتة - كالحسين عليه السلام يات والأوقاف العامة ونحوها - ام نفقات مصروفة لسد الحاجيات المتجددة كالإطعام، والاستضافة

(١). الملحة الحسينية عليه السلام ج ٣ ص ٣١٢

ومكافآت الخطباء والذاكرين وغيرها^(١).

٣- توفر الصلاحية الفنية والأخلاقية للمبلغ، ويمكن اعتبار الزائر هنا مطلقاً عنصراً تبليغياً فاعلاً لا بد له من التحلي بتلك الصفات المذكورة.

٤- استخدام منهج التبليغ واستغلال الأدمغة المفكرة التي تجعل من تلك الشعيرة، عنصراً تبليغياً قادراً على إيصال الرسالة التي كان لأجلها خروج الإمام والتضحية بنفسه الزكية.

ان زيارة الأربعين بوصفها عنصراً تبليغياً قد أسهمت إسهاماً كبيراً في نقل الصورة الايجابية عن أهل البيت عليهم السلام عن طريق تلك المسيرات المليونية وما يرافقها من ذكر مآثر أهل البيت عليهم السلام وتضحياتهم في سبيل نصره الإسلام، بما يتناسب وفهم المخاطبين من أتباع بيت النبوة، وحتى غير الأتباع ممن يتعاطف مع نهضة الحسين عليه السلام وخلودها.

لقد أثبتت الأيام السابقة ان زيارة بحجم زيارة الأربعين عصية على الاندثار لأنها تجسّد لاستمرارية منهج الإمام الحسين عليه السلام وأهداف ثورته، فلاغرو ان قلنا ان هذه الزيارة اخذتسع ويشع نور ثورتها الخلافة، وهذا ما يدعونا الى حث الجهات الرسمية والشعبية بكل فئاتها على اعتبار تلك المناسبة رمزاً صالحاً لتفعيل المنهج الرسالي وأهداف الحسين عليه السلام الخالدة التي هي أولاً وأخيراً أهداف رسالة

الإسلام بعينها. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الخاتمة

لقد حققت فاجعة الطف هدفها على أكمل وجه، حيث صارت الفاجعة - بأبعادها المتقدمة - صرخة مدوية هزت ضمير الأمة، ونبهتها من غفلتها، وأشعرتها بالخيبة والخسران لخذلان الحق ودعم الباطل، وبالهوة السحيقة بين المجتمع الذي تعيشه والواقع الديني الذي اراد الله عز وجل منها ان تكون عليه^(١). ومن آثار فاجعة الطف وإفرازاتها العظيمة، تلك الزيارات التي قررها وشيّد أركانها الأئمة الأطهار، لتظل رابطاً وثيقاً بين الموالين والأتباع الخلّص لأهل البيت عليهم السلام، وأئمتهم الكرام الذين هم مادة الرسالة ومعدن الدين، الذين طهّهم الله بقوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٣) الاحزاب، ومن تلك الزيارات الخالدة زيارة الأربعين، التي ذاع صيتها وطار بين الناس، وحث عليها الأئمة الكرام، واعتبرها الإمام العسكري عليه السلام من علامات المؤمن، ولها من الاثار الروحانية والبركات الدنيوية ما سارت به الركبان، فعلى

(١). فاجعة الطف ص ٣١٠

المؤمنين الأختيار المحافظة على تلك الشعيرة الرائعة التي توحد المسلمين وتنظف قلوبهم من أدران الطائفية والأحقاد الجاهلية، فهي حجج آخر بما هي زيارة للحسين عليه السلام وقد ورد في الأثر ان زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدل حجة وعمرة، ففي حديث طويل لسدير: قال ابو عبد الله عليه السلام: «يا سدير وما عليك أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرات وفي كل يوم مرة. قلت جعلت فداك ان بيننا وبينه فراسخ كثيرة، فقال: تصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنة ويسرة، ثم ترفع رأسك الى السماء، ثم تتحرى نحو قبر الحسين عليه السلام، ثم تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يكتب لك زورة، والزورة حجة وعمرة. قال سدير: فربما فعلته في النهار أكثر من عشرين مرة»^(١). فكيف بمن أدمى رجله وعلاه التراب وهو يرنو لقبه الحسين عليه السلام ولبركات الحسين عليه السلام، نسأل الله الأجر والعافية وقبول الدعاء والزيارة لكل من زار الإمام الحسين عليه السلام من قرب ومن بعد، ووفقنا الله تعالى وإياكم لإتباع الحسين عليه السلام ونهجه انه سميع الدعاء، والحمد لله رب العالمين.

المصادر

١. القرآن العزيز
٢. وسائل الشيعة
محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق مؤسسة أهل البيت، قم ايران
٣. جامع أحاديث الشيعة
السيد حسين الطباطبائي، المطبعة العلمية، قم، ايران
٤. بحار الأنوار
محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، ١٩٨٣.
٥. مصباح المتهجد
محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان،
١٩٩١.
٦. المزار
محمد بن محمد بن النعمان المفيد دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت
لبنان، ١٩٩٣.
٧. المصباح
الشيخ إبراهيم العاملي الكفعمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنان

١٩٣٨.

٨. المزار

محمد بن مكّي العاملي الشهيد الاول، مؤسسة الإمام الهدي، ط ١،
١٤١٠، قم ايران.

٩. مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل

المحقق النوري الطبرسي، ط ١، المحققة ١٩٨٧، تحقيق مؤسسة ال
البيت ع، قم ايران.

١٠. تذكرة الخواص

سبط بن الجوزي، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٦٤.

١١. كامل الزيارات

الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمي، مؤسسة النشر الاسلامي،
ط ١٤١٧.

١٢. فاجعة الطف، ابعادها، ثمراتها، توقيتها

السيد محمد سعيد الحكيم، مؤسسة الحكمة للثقافة الاسلامية،
ط ١، النجف الاشرف ٢٠٠٨

١٣. مجلة نصوص معاصرة، العدد التاسع، شتاء ٢٠٠٧.

هادي الشيخ طه

النجف الاشرف

٧ صفر ١٤٣٠

الفهرس

ê	.
î	. .
èè	β عبا . .
è	عبا
è
èè
è	.
è	.
èè	.